إنس وجنية

مريم توركان

نوڤيلا

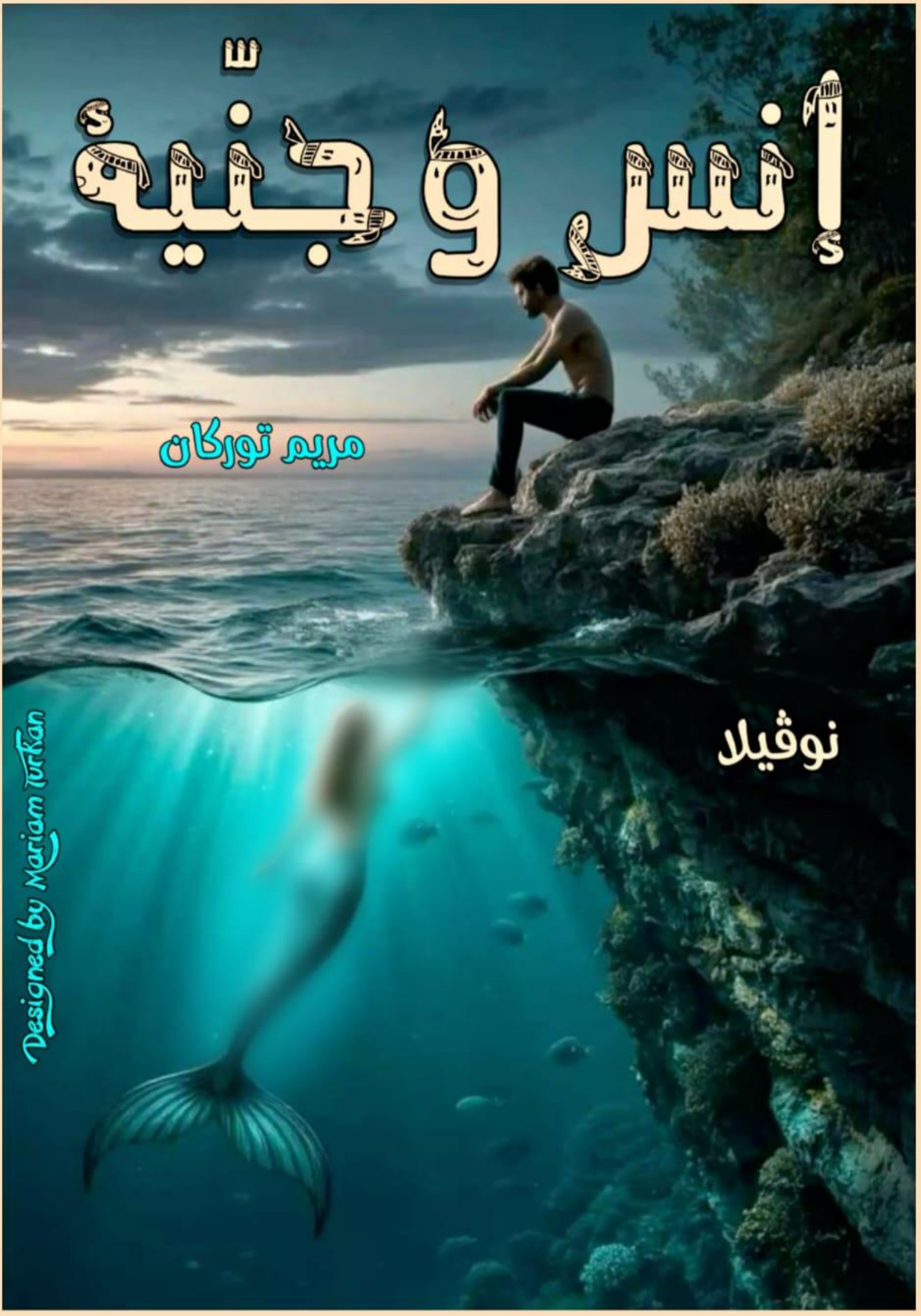

اسم العمل: إنس وجنّية

اسم الكاتبة: مريم توركان

نوع العمل: نوڤيلا

تدقيق لغوي: مريم توركان

تصميم الغلاف: مريم توركان

تنسيق داخلي: مريم توركان

الإهداء

إلى البحر.. خوفي منكَ أوقعني في حُبّك.

مريم توركان

الجزء الأوّل

ضاقتْ بهِ دُنياهُ فأسرعَ إلى البحر؛ ليُلقي ما في جُعبتهِ من همومٍ كما يفعل دومًا.

جلسَ على إحدى الصخور وأخذ يسرد للبحر ما أهمّه.

على الجانبِ الآخر، محفوظةٌ هي بلوحٍ ثلجيٍّ متين مُنذُ مئات السنين، نتيجة اعتراضها على قرار ملك البحور بشأنِ قتل البشريين والإستفادة من أجسادهم.

ظلمها ملك البحور وظلمها شعبه حينَ استكانوا ورضخوا لأمره، لكنَّها لم ترضخ لهُ لعِلمها بأنَّ محنتها ستزول على يدِ بشريٍ جميل، هكذا تقول النبوءة.

سيذوب الثلج وينصهر اللوح على يدِ بشري جميلٍ يُدعى (حسن)، حينَ يأتي عازمًا على إنقاذِ مملكةِ البحور من شرور ملك البحور.

ستحدُث المعجزات حينَ يدخل البشري عالم الجنّيات، وسيقع بحُبِّ الأميرة (زمردة) سليلة الملوك.

ستذوق زمردة على يديهِ معنى الحياة.. حينَ تُمكنهُ من قلبها الجليدي ليصهرهُ حنانهُ البشري، فإنْ حَدَث ستكون زمردة بينَ خيارين، إمَّا أنْ تقتلَ حسن وتأخذ جَسدهُ ليعيشَ معها في أعماقِ البحار، وإمَّا أنْ تتنازل عن حياتها وعالمها وتذهب للعيشِ معهُ على اليابسة.

هاعمل إيه؟

قالها حسن بصوتٍ حزين.

قد تراكمت عليهِ الديون بعدما خسرَ تجارته، لم يبقَ لهُ منها فلسًا واحدًا، انطفأت روحه وحزنت نفسه على حاله، حاولَ كثيرًا لكنْ دونَ جدوى.

نهضَ من مجلسهِ واقتربَ من الماء، أخذ يركله بقدمه ويكأنَّهُ يُعنّف البحر على شيءٍ لم يفعله.

لحظاتٍ وسمعَ صوتًا يُناديه: أقبل يا بشري فالسعد ينتظرك.

جالَ ببصرهِ المكان فلم يجد إلَّاهُ، ناداهُ الصوت من جديد: لا تخف يا بشري، أقبل فإنَّها في انتظاركَ مُنذُ مئات السنين.

أنصـــتَ حســـن لمصـــدرِ الصـــوت فوجـــدهُ قادمًـــا مـــن أعمـــاقِ البحـــر، دقّـــقَ النظـــر فشـــاهدَ ضـــوءًا ســـاطعًا خارجًـــا مـــن الأعماق.

لـــم يُصـــدّق مـــا رأى، فخلـــعَ قميصـــهُ وألقـــى بهِ بعيدًا، وقفزَ دونَ تفكير.

ســـحبتهُ الميـــاه لعُمـــقٍ هائـــل، كـــادت أنفاســـهُ تنقطـــع فأســـرعَ بالســـباحةِ نحـــوَ الســـطح حتّى وصلَ بعدَ عناء.

خـــرجَ مـــن المـــاءِ يلهـــث، اســـتلقى علـــى الشـــاطئ فشـــاهدَ شـــيئًا غريبًـــا؛ شـــاهدَ قـــرص الشَّـــمس يتحـــوّل إلـــى جســـدِ امـــرأة نصـــف آدميّـــة، أحـــسّ بـــالفزع فأخـــذَ قميصـــهُ وهرولَ إلى حيثُ جاء.

سمعَ صوتًا أُنثويًّا رقيقًا يقول:

ســتأتينا يــا بشــري.. لــكَ عنــدنا حاجــة فــلا تتأخر!

لم يلتفت وواصلَ مهرولًا نحوَ البيت.

الجزء الثاني

وصـــلَ حســـن البيـــت، دسَّ مِفتاحـــهُ بثقـــب البـــاب ودلـــف، أســـرعَ إلـــى غرفتـــهِ فاســـتلقى وأخذَ ينظر للسقف.

يا ترى مين دي ولا دا؟

أكيـد أنـا كـان بيتهيـألي، أصـل مٰفـيش حاجـة ممكـــن تغيّـــر قـــرص الشَّـــمس بالشـــكل دا مهمـــا كانـــت، بعـــدين إيـــه يـــا بشـــري دي كمان؟

هو صاحب الصوت دا حيوان ولا إيه؟

أخـذَ حسـن يطـرح علـى نفســهِ الأسـئلة حتّـى داهمهُ النُّعاس فنام.

لــوحٌ ثلجــيٌّ ضــخم، مُغلــقٌ عليهــا بإحكــامٍ شــديد، لا أحــدَ يجــرؤ علــى الاقتــرابِ منهــا؛ خشية الإصابة بلعنتها.

هــي الملعونــة (زُمــردة) كمــا يــدعونها، لُعِنَــت حــينَ اعترضــت علــى قــرارِ ملــك البحــور، لكنَّهــا لــم تيــأس، حــاولَ أنْ يُثنيهــا عن موقفها لكنَّهُ لم يُوفق.

فمــا كــانَ منــهُ إلَّا أنْ عاقبهــا بحبســها فــي اللوحِ الثلجي الهائل.

ظلّــت هكــذا حتّــى ظهــرت علامــة اقتــراب موعــد تحقيــق النبــوءة، فــاهتزَّ اللــوح بهــا ثــلاث هــزّاتٍ حــينَ قفــزَ حســن إلــى أعمــاقِ البحر.

لــم يَكُــن ضــوءها الســاطع ليظهــر لأحــدٍ ســوى المُنقــذ الــذي ذكرتــهُ النبــوءة، لكــنَّ

حســن قــد خشــيَ علــى نفســهِ الغــرقَ فعــادَ إلى السطح مرّةً أُخرى.

_ يا مُنقذي لا تتأخر عليّ.

قالتها بصوتٍ رقيق.

اســتدارَ حســن فوجــدَ نفســهُ أمــامَ فتــاةٍ آيــة فــي الجمــال، محفوظــة بلــوحٍ ثلجــيٍّ متــين، تبتسم فتُضيء قاع البحر.

تعجــبَ حــينَ رأى نفســهُ يقــفُ بقــاعِ البحــر دونَ غرقه!

اقتــربَ منهــا، وضــعَ يــدهُ علــى اللــوح الثلجــي فانهــار؛ لتخــرجَ هــي ويراهــا علــى حقيقتهــا، فتــاة نصــف آدميّــة ونصــفها الآخر سمكة مزركشة تسرّ الناظرين.

فـزعَ مـن هـولِ مـا رأى، وحـاول العـدو لكـنَّ قـدماهُ قـد انغرسـتا بالقـاعِ أكثـرَ وأكثـر، فلـم يستطع التحرُّك.

اسـتيقظَ مـن نومـهِ علـى صـوتِ أُمّـه تُناديـه: يـلا يـا حسـن، اتـأخرت علـى الشـغل يا ابني، الساعة بقت 8 دلوقت.

حمـدَ اللَّهَ أنَّ مـا رآهُ كـانَ حُلمًـا، نهـضَ مُسـرعًا فـدلف دورة الميـاه وبعـدها تنـاولَ وجبـة الإفطـار بمعيّـةِ أُمّـه، وانطلـقَ إلـى عملهِ الجديد.

لـم يَكُـن يعلـم مـا ينتظـرهُ هُنـاك.. فلـو عَلِـمَ لعـرفَ أنَّ الحُلـم الـذي رآهُ مُجـرّد بدايـة لتغييرٍ لا وجودَ لهُ في حُسبانه!

الجزء الثالث

وصـــلَ حســـن إلـــى البحـــر، اســـتقلّ المركـــب وبـــدأ بـــالتحرّك حتّـــى إذا مـــا وصـــلَ إلـــى الوسط، ناداهُ الصوت الأُنثوي من جديد!

ارتجـــفَ قلبـــه خوفًـــا مـــن المجهـــول، حـــاولَ العـــودة بالمركـــب لكنَّـــهُ قـــد فقـــدَ الســـيطرة على عجلة القيادة.

نظرَ حولهُ فلم يجد أحدًا وكأنَّهُ تائه!

صـــرخَ مُســـتغيثًا لكـــنْ لا أحـــدَ يســـمعه، ولا زالَ الصوت يُناديه.

لـــم يَكُـــن أمامـــهُ خيـــار ســـوى القفـــز لأعمـــاقِ البحر، وقد كان.

قفــزَ إلـــى الأعمـــاق دونَ أيّ تفكيـــر ويكأنَّـــهُ يُنفذ أمرًا وجبَ عليهِ تنفيذه!

ســـحبتهُ الميـــاه إلـــى عُمـــقٍ هائـــلٍ لكنَّـــهُ لـــم يفقـــد أنفاســـهُ هـــذهِ المـــرّة، إذ صـــادفتهُ ســـمكة شـــفافة مُتناهيـــة الصِـــغر، دلفـــت جوفه فتحوّلَ إلى نصف آدمي!

ظـــلّ يغـــوص أكثـــر وأكثـــر حتّـــى وصـــلَ إلـــى القـــاع، رآهـــا مـــن بعيـــدٍ فظنّهـــا كُتلـــة مـــن النـــور، الـــذي يُشـــع ضـــياءً ليُنيـــرَ ظُلمـــة البحر.

أســـرعَ إليهـــا، اقتـــربَ منهـــا، رأتـــهُ قادمًـــا فـــذرفت عيناهـــا فرحًـــا، ناداتـــهُ بصـــوتها الشجيّ: مُنقذذذذذي.

أخـــذت تتحـــرّك داخـــل اللـــوح الثلجـــي، مـــدَّ إليهـــا يـــدهُ فلامســـت اللـــوح، ومـــا أنْ فعلـــت حتّى انفجرَ اللوح وخرجت زُمردة.

لـــم تُصـــدّق نفســـها، إذ ظلّـــت حبيســـة اللـــوح لمئـــات الســـنين، أصـــدرتْ صـــوتًا عـــذبًا يُوحي بالسعادة الغامرة.

اقتربـــت منـــهُ فـــإذ بهـــا جنّيـــة غايـــة فـــي الروعـــة والجمـــال، نصـــفها العُلـــوي آدمـــي ونصـــفها السُـــفلي علـــى هيئـــةِ ســـمكة مُزركشة.

قبّلـــت يـــدهُ كَنـــوعٍ مـــن الشُـــكر، نظـــرَ إليهـــا غيـــر مُصـــدّقٍ لمـــا يَحـــدُث، أهـــو بحُلـــم أم بعلم؟!

طلبت منهُ أنْ يُسارعَ بالخروجِ من الماء؛ تجنُّبًا لما قد يَحدُثُ بينها وبينَ ملك البحور.

حاولَ الصعود إلى السطح لكنَّهُ لم يستطع؛ إذ نفدت طاقتهُ بعدَ موتِ السمكة بداخلهِ وعودتهِ إلى أصلهِ الآدمي!

حملتهُ زُمردة بينَ ذراعيها، وأمرت إحدى الأمواج بإيصالها إلى السطح في وقتٍ قياسيٍّ.

وصلت إلى السطح فأسرعتْ إلى المركب، وضعتهُ بها وأيقظتهُ ثُمَّ غاصت في الأعماق، فهناك مهام وجبَ تنفيذها، ومظالم لا بُدَّ وأنْ تُردّ إلى أصحابها.

الجزء الرابع

استردَّ حسن وعيهُ وأبحرَ عائدًا إلى الشاطئ ومن ثَمَّ البيت، بينما زُمردة تقوم بتصفية حسابها مع ملك البحور.

ذهبت إليهِ حيثُ يجلس على عرشهِ وسط حاشيته، رآها فنهضَ في فزعٍ غير مُصدّقٍ لما تراهُ عيناه.

_ كيفَ خرجتِ يا ملعونة؟

قالها بصوتٍ جهوري.

أجابتهُ بثقةٍ: جاءني مُنقذي ففك لعنتي يا ملك البحور.

ملك البحور: لن يحدث، سأُعيدكِ إلى اللوحِ الثلجي من جديد.

أمسكَ عصى الملك ذات القُدرات والمُعجزات وقبلَ أنْ يوجهها ناحية زُمردة، كانتْ قد انقضتْ عليهِ فسلبتهُ إيَّاها وألقت بهِ أرضًا، وقالت بصوتٍ غاضب: أمَّا قبلُ فقد ظلمتَ وتجبرت، أمَّا بعدُ فآن الأوان لردّ المظالم، وجهت إليهِ العصا وقالت بكُلِّ قوة: والآن لتتجمع الأمواج حولهُ لتصنع لهُ محبسًا أبديًا على ذات الهيئة التي حبسني بها.

وقبلَ أنْ تخرج الأشّعة من العصا انقضَ عليها أحد جنود ملك البحور، فطارت العصا ووقعت بجانبِ ملك البحور.

نظرَ إليها وإلى العصا فنهضَ مُسرعًا ومدَّ يدهُ إليها، التقمها وأعادَ توجيهها ناحية زُمردة من جديد.

صـــرخت زُمـــردة فـــاهتزَّ القـــاع وارتجـــف، لكنَّ الجنود كانوا قد أحكموا وثاقها.

دلـــفَ البيـــت فأســـرعَ إلـــى غرفتـــه، وقـــفَ أمـــام المـــرآة يُحـــدّثُ نفســـه: أكيـــد كنـــت بحلـــم ولسه فايق.

مـــش معقولـــة يكـــون اللـــي حصـــل قـــدامي دا حقيقة!

يعنـــي إيـــه أنـــزل لقـــاع البحـــر وأتحـــول لجنـيّ؟!

ومين الجنّية دي؟

وإيه حكايتها؟

واشمعنى أنا؟

أخـــذَ يســـأل نفســـهُ حتّـــى أرهقتـــهُ الأســـئلة فاستلقى ونام.

سأجعلكِ تندمينَ يا ملعونة، لن أسمحَ لكِ بالحياةِ بعدَ الآن، سأمحو ذكركِ من الوجود.

أيّتُها الأمواج آمركِ بصنعِ تابوت موتى، خرجت الأشّعة من العصا موجهة نحو زُمردة.

شيءٌ ما قد أجبرها على إطباقِ جفناها، وما أنْ فعلت حتّى رأت طَيف جدّتها (برديس) ملكة البحور.

_ لا تخافي يا ابنتي فأنا معكِ ولن أتركِ.

قالتها بصوتٍ حنونٍ أشعرَ زُمردة بالأمان.

زُمردة: قد خانَ الجنود الأمانة، وأحكموا وثاقي برديس، لا أدري ماذا أفعل؟

بـــرديس بعـــدما ربتـــت علـــى كتفهـــا بحنـــانٍ: ستُنصـــرينَ علـــيهم جميعًـــا، فقـــط كـــوني علـــى يقين.

ثُـــمَّ اقتربـــت منهـــا أكثـــر وضـــمّتها إلـــى صـــدرها وقالـــت بصـــوتٍ قـــويّ: أنـــا بـــرديس ملكـــة البحـــور، آمـــركِ أيّتُهـــا الأمـــواج أنْ تفـــكِ وثـــاق ابنتـــي زُمـــردة، وأنْ تُطيعـــي أمرهـــا، أُقســـمُ عليـــكِ بمـــا لـــي عليـــكِ مـــن حـــقّ المُحبّ على حبيبه.

أمَا وإنْ نسيتني فلا قسمَ لي عليكِ.

ارتـــجّ القـــاع فســـقط مَـــن فيـــهِ علـــى وجـــوههم عـــدا زُمـــردة، فتحـــت عيناهـــا فوجـــدت الأمـــواج قـــد فكـــت وثاقهـــا كرامـــةً لقســـمِ برديس!

أســرعتْ إلــى العصــا، أمســكت بهــا وحــدّثتها ثُــمَّ أمرتهــا بصــنعِ اللــوحِ الثلجــي، ففعلــت وصار ملك البحور حبيسهُ.

أمَّــا الجنــود فكــانَ عقــابهم النفــي إلــى الجُــزر البعيدة.

عــادَ الحكــم لزُمــردة وعــادت لــه، جلســت علــى العــرش، ومــا أنْ فعلــت حتّــى ارتــجَّ القاع مرّة أُخرى فرحًا بها.

الجزء الخامس

استقر الحُكم بيدِ زُمردة وكانَ أوّل قراراتها هو منع قتل البشر أو استخدام جُثثهم والإستفادة منها.

اعترضَ البعض فما كانَ منها إلَّا أنْ حكمت عليهم بالطردِ خارج مملكتها؛ كي يكونوا عِبرة لمَن تُسوّل لهُ نفسه الاعتراض على قرار ملكة البحور.

دلفت غرفتها الخاصّة لترتاح بعض الوقت، وقفت أمام المرآة فتذكرت حسن، أخذت تبتسم وتُحدّث نفسها: يا لهُ من بشريٍّ شُجاع!

حسن اسمٌ يَحملُ وصفه، فهو أحسنُ من الحُسنِ ذاته، بهيّ الطلّة، رائع الثغر، أبيض القلب، حديث الروح ونقيّها.

ليتهُ كانَ جنّيًا فتزوجتهُ وأنجبتُ منهُ برديس الصغيرة!

لكنْ هيهات، أنّى لي بحُلمٍ كهذا؟

تحوّلت المرآة لصورة الحكيمة (أُمنيّات) لتُحدّثها قائلةً: ملكتي الوقور وملكة البحور، لا شيء بعيد ما دامَ القلب مُريد.

تبسمتْ لها زُمردة وتابعت: الحكيمة أُمنيّات حبيبة القلب صاحبة البسمات، أوحشني حديثكِ حكيمة، ضاقتْ بزُمردتكِ البحور.

أُمنيّات بصوتٍ حنون: أنا معكِ متى احتجتِ إليَّ أظهر لكِ.

زُمـــردة بصـــوتٍ حـــزين: أُغرمـــتُ بـــهِ دونَ وعيـــي، ســـكنَ قلبـــي دونَ إذنـــي، اطمـــأنَّ لـــهُ قلبي بغيرِ أمري.

أُمنيّـــات بصـــوتٍ هـــادئ: هكـــذا يكـــون الحُـــبّ ابنتـــي، يُصـــيبُ القلـــب كســـهامِ القـــدر دونَ نذير.

زُمردة مُتسائلة: وما العمل حكيمتنا؟

أُمنيّـــات مُبتســـمة: قـــد تحقّـــقَ شـــطر النبـــوءة وبقيَ شطرها الآخر وهو الأهمّ.

زُمردة: وما هو؟

أُمنيّـــات: أنْ تختـــاري بـــينَ عالمـــكِ وعـــالم حبيبكِ.

زُمردة وقد قطبت حاجباها: ماذاا؟

أُمنيّـــات: تقـــول النبـــوءة: سيســـكن البشـــريّ قلـــب زُمـــردة وعليـــهِ وجـــبَ اختيارهـــا بـــينَ عالمها وعالمه.

زُمردة بذهولٍ: لا أُصدّق.

أُمنيّـــات: لا تحزنـــي يـــا ابنتـــي، هـــذا قـــدركِ ووجبَ عليكِ الاختيار.

زُمردة: ولكنْ....

أُمنيّـــات مُقاطعـــة: هـــذا هـــو قـــدركِ ووجـــبَ عليكِ الاختيار.

وقبـــلَ أنْ تـــردّ عليهـــا زُمـــردة عـــادت المـــرآة لطبيعتها.

اســـتيقظَ بعـــدَ نـــومٍ عميـــقٍ ليُفاجـــأ بشـــهرٍ انقضى دونَ أنْ يشعرَ به!

خــرجَ مــن دورة الميــاه ووقــفَ أمــامَ التلفــاز لــيعلم كــم الســاعة، فــذُهلَ حــينَ رأى تــاريخ اليــوم هــو بعــدَ شــهرٍ مــن يــوم عودتــهِ مــن القاع!

نظــرَ لأُمّــهِ وقــال: أُمّــي، هــو أنــا غبــت عــن البيت؟

أجابتــهُ بصــوتٍ هــادئ: لأ يــا ابنــي، يــدوب خرجت ورجعت على طول.

حسن بدهشة: إزاي؟

دا إمبــارح كــان أول ينــاير والنهــارده أول فبراير!

أُمّــهُ وقــد وضــعت كــوب الشــاي جانبًــا: مالــك يا حسن؟

في إيه يا ابني؟

مـــا أنـــت كنـــت معايـــا طـــول الشـــهر، بتخـــرج لشغلك وترجع لي بخير البحر كُلّ يوم.

حسن: إيه؟

مين دا؟

أنا ما اصطدتش حتّى بساريا واحدة!

أُمّـــهُ بعـــدما نهضـــت مـــن مجلســـها وتوجهـــت نحـــو المطـــبخ، فتحـــت البـــرّاد (الثلاجـــة)، وأشـــارت إليهـــا وتابعـــت: اومـــال الخيـــر دا كُلّه جه منين؟

نظـــرَ حســـن فوجـــد البـــرّاد مملـــوء بخيـــرات البحر عن آخره.

لـــم يُصـــدّق مـــا رأى فقـــررَ الـــذهاب إليهـــا.. إلى الجنّية زُمردة.

الجزء السادس

استقلّ مركبهُ وأبحرَ نحوَ مملكة البحور، وصلَ إلى مُبتغاه فتوقفَ المركب عن الإبحار، أخذَ ينظر إلى الأسفل لكنَّهُ خشيَ القفز هذهِ المرّة واكتفى بالانتظار.

شعرت بهِ زُمردة فأسرعت إليه، لحظاتٍ وكانتْ أمامه، ألقت عليهِ التحيّة مصحوبة ببسمةٍ عذبة.

ردَّها إليها ببسمةٍ صافية، ثُمَّ أخبرها بسببِ مجيئهِ إليها.

ضحكت قبلَ أنْ تُجيبه: ما قالتهُ أُمّكَ صحيح، والتاريخ الذي وجدتهُ بالتقويمِ الخاصّ بكم صحيحٌ أيضًا.

حسن بدهشة: إزاي؟

أنا خلاص قربت أتجنن بسببك!

ضـــحكت ثانيـــةً وتابعـــت: لتهـــدأ قلـــيلًا يـــا بشـــريّ، نســـيتُ إخبـــاركَ أنَّ اليـــوم الواحـــد عنـــدنا يُســـاوي شـــهرًا مـــن أيَّـــامكم، لـــذا عنـــدما دلفـــتَ عالمنـــا غُـــرّة ينـــاير خرجـــتَ منهُ غُرّة فبراير.. هل فهمت؟

حسن: إيه؟!

طـــب ومـــين بقـــى اللـــى كـــان بيصـــطاد الســـمك وعـــايش الشـــهر دا مـــع أُمّـــي علـــى إنّـــه أنا؟؟!

زُمردة بصوتٍ هادئ: إنَّها أنا يا مُنقذي.

حســـن بـــذهولٍ: إزاي وأنـــتِ كُنـــتِ معايـــا فـــي القاع؟!

زُمـــردة مُبتســـمة: بإمكـــانِ ملكـــة البحـــور أنْ تتحـــــوّل لشخصـــــينِ فـــــي آنٍ واحـــــدٍ إذا استدعى الأمر ذلك.

حســـن: وليـــه مـــا أمـــرتيش حـــدّ مـــن جنـــودك يقوم بالمهمة دي؟

زُمـــردة بصـــوتٍ شـــجيّ: لـــم أفعـــل إكرامًـــا لمُنقـــذي، فضّـــلتُ أنْ أقـــومَ بهـــذهِ المهمـــة بنفسي؛ لأطمئنَّ على السيّدة الأُمّ.

حســـن بصـــوتٍ حنـــون: قـــد فهمـــتُ الآن يـــا ملكة البحور.

زُمـــردة بصـــوتٍ هـــادئ: بـــل زُمـــردة، يُمكنُـــكَ مُنادتي باسمي دونَ أيّة ألقاب.

حسن مُبتسمًا: حسنًا زُمردة.

أخــذا يتحــدّثانِ حتّــى أوشــكت الشَّــمس علــى المَغيــب، فــأبحرت زُمــردة نحــوَ الأعمــاق، وعادَ حسن إلى بيته.

الجزء السابع

عــادت للمملكـــة هيبتهـــا بعـــودةِ العـــدل إليهـــا، لكـــنَّ ذلـــكَ لـــم يمنـــع أحـــد اللئـــام مـــن العبـــث، فحـــاولوا جاهـــدينَ قتـــل زُمـــردة ليتســـنى لهـــم الحُكم.

_ غنّام، هل فهمت ما أمرتُكَ بهِ؟

غنّـــام بقلـــقٍ: لكنَّـــكَ لـــم تُخبرنـــي بمصـــيري إنْ كُشفتْ لعبتنا سيّدي مرجان؟

مرجـــان بعـــدما نهـــضَ مُتكئًـــا علـــى عصـــاه: لـــن تُكشـــف يـــا غبـــيّ، لأنَّهـــا إنْ كُشـــفتْ سيُقضـــى علينـــا، لـــذا أتقـــن عملـــكَ جيّـــدًا قبـــلَ أنْ تُحيلـــكَ عصـــا ملكـــة البحـــور إلـــى طعـــامٍ للحيتان.

غنّـــام بخـــوفٍ شـــديد: ســـأفعل ســـيّدي مرجان، أعِدُكَ سأفعل.

مـرّت الأيَّـام وسـكنَ حُـبّ زُمـردة قلـب حسـن حتّـى بلـغَ الهيـام، لـم يسـتطع أنْ يقضـي يومـهُ دونَ الـذهابِ إليهـا والاطمئنـان عليهـا، وكـذلكَ هـي، لـم تقـدر علـى بُعـادهِ ولو يومًا واحدًا.

وقفـتْ أمـامَ المـرآة تُحـدّث نفسـها: حسـن، ذلـكَ البشـريّ آسـر قلـب زُمـردة، حبيبـي الـذي أوقعنـي القـدر فـي حُبّـه، متـى يجمعني بكَ القدر يا حبيبي؟

تحوّلـت المـرآة إلـى صـورةِ الحكيمـة أُمنيّـات لتُجيبهـا: مرحبًـا بملكتـي وابنتـي الغالية!

تبسمتْ لها زُمردة قبلَ أنْ تُجيب: مرحبًا بحكيمتي وحبيبتي.

أُمنيّات: يبدو أنَّكِ قد اخترتِ يا ابنتي.

زُمردة بتوتر: ليسَ بعد حكيمتي.

أُمنيّات: لكنَّ قلبكِ قد اختار.

زُمردة: أحبّهُ قلبي دونَ أنْ يأخذَ رأيي حكيمة!

أُمنيّات مُبتسمة: هكذا يكون الحُبّ.

زُمردة مُتسائلة: حكيمة، هل نَحنُ مَن نختار الحُبّ أم الحُبّ هو مَن يختارنا؟

أُمنيّات بصوتٍ هادئ: الحُبّ هو مَن يختار يا ابنتي لا العكس.

زُمردة بصوتٍ حزين: وماذا يفعل المرء حينَ يُحبُّ حكيمة؟

أُمنيّات بصوتٍ حنون: يكون قريبًا من محبوبهِ، مُتصلًا بهِ يا ابنتي.

زُمردة وقد تساقطَ دمعها: وأهلي، ماذا أفعل معهم؟

أُمنيّات بصوتٍ مُطمئن: دعيهم وشأنهم يا ابنتي، وكوني مع مَن كانَ قلبكِ معه، فأشدّ العذابات أنْ يكونَ قلب المرء في مكانٍ وجسده في مكانٍ آخر!

بكتْ زُمردة حتّى فاضَ دمعها على المرآة، فعادت لصورتها الطبيعيّة بعدما اختفت الحكيمة أُمنيّات.

انكشفت مؤامرة مرجان بعدما أخبرَ عنهُ غنّام، حينَ قُبضَ عليهِ أثناء مُحاولتهِ دسّ السُمّ لملكة البحور.

حكمت عليهم ملكة البحور بإحالتهم إلى طعامٍ للحيتان.

اجتمعت زُمردة بمجلس الحُكم وأخبرتهم بما عزمت عليهِ وما انتوت فعله، أُصيبَ الجمع بالدهشةِ من هَولِ ما سمعوا، لكنَّ أحدًا لم يُقاطعها.

أخبرتهم بخيارها لعالَمِ حبيبها حسن، وقرارها العيش معهُ في عالمهِ والبقاء بجانبهِ ما بقيَ لها من عُمر.

أعادت هيكلة المجلس وأعطت لكبيرِ الحُكماء عصا الحُكم؛ ليكونَ خليفةً لها على العرش.

ودّعتْ زُمردة مملكتها الوداع الأخير، وانتظرت حتّى شروق الشَّمس، ثُمَّ أمرت

الأمـــواج بإيصـــالها إلـــى الســـطح، بينمـــا حسن ينتظرها.

الجزء الثامن

وصـــلت إلـــى الســـطح فـــأمرت حســـن بالابتعـــادِ عنهـــا، لكنَّـــهُ لـــم يُنصـــت لهـــا، كـــررت عليـــهِ الأمـــر حتّـــى ابتعـــدَ قلـــيلًا، فأخـــذت تتلّـــوى وتصـــرخ وهـــي تتلـــو بعـــض التعاويذ على قُرصِ الشَّمس.

ظلّـــت هكـــذا حتّـــى اقتـــربَ المَغيـــب فاحتـــالَ قُـــرص الشَّـــمس إلـــى إنســـيّة، ثُـــمَّ انصـــهرَ وتســـاقطَ فـــي المـــاء، فطفـــى الضـــياء علـــى سطح البحر.

صـــرخت زُمـــردة صـــرخةً ارتـــجَّ لهـــا القـــاع، تمهيدًا لتحوّلها لإنسيّةٍ فائقة الجمال.

لحظــاتٍ وعــادَ قُــرص الشَّــمس لطبيعتــهِ قبــلَ أنْ يحــلّ المَغيــب، بينمــا زُمــردة قــد غابــت عن الوعي.

أســـرعَ إليهـــا حســـن فحملهـــا بمركبـــه، وانطلقَ بها نحوَ الشاطئ ومن ثَمَّ البيت.

وصــلَ البيــت، طــرقَ البــاب بقدمــه، فتحــت لــهُ أُمّــهُ لتُفاجــأ بــهِ يحمــلُ بــينَ ذراعيــهِ فتــاة جميلــة، صــرخت ولطمــت خــدّها: مــين دي يا حسن؟

حســن يتصــبّبُ عرقًــا: افتحــي لــي بــاب اوضتي الأوّل وبعدها نتكلم ياما.

فعلــت مــا أمرهــا بــهِ حســن، دلــفَ غُرفتــه ووضــع زُمــردة علــى ســريره، ثُــمَّ أتــى ببعضِ النشادر وحاولَ إفاقتها.

_ زُمـــردة، فـــوقي أبـــوس إيـــدك، إيـــه اللـــي عملتيه في نفسك دا يا مجنونة؟!

أُمّ حسن بدهشة: اسمها إيه يا حسن؟

حسن: زُمردة، اسمها زُمردة ياما.

أُمّ حســـن: ودي اتحـــدفت علينـــا مـــن أيّ داهية؟

حســـن مُتمالكًـــا أعصـــابه: ادعيلهـــا يـــا أُمّ هاشـــم، دي بنـــت غلبانـــة يتيمـــة مالهـــاش حـــدّ، كانـــتْ هتغـــرق أنقـــذتها وجبتهـــا علـــى هنا.

أُمّ حســـن بصـــوتٍ مُتـــأثر: هـــات النشـــادر دي واطلـــع بـــرا، ومـــا تـــدخلش غيـــر لمـــا أنـــا أنـــده لك، سامع؟

حسن: حاضر ياما.

خـرجَ حسـن مـن الغُرفـة وقلبـهُ يكـاد يتوقـف مـن خوفـهِ علـى زُمـردة، جلـسَ علـى الأريكـة يـدعو اللَّهَ أنْ يحفظهـا لـهُ، بينمـا أُمّ هاشـم قـد جردتهـا مـن دثارهـا مُحاوِلـةً إفاقتها.

_ فـوقي بقـى يـا بنتـي، ربّنـا يحفظـك يـا حبيبتي.

وضـعت القليـل مـن النشـادر علـى راحـة يـدها وقرّبتهـا برفـقٍ مـن أنـفِ زُمـردة، ومـا أنْ فعلـت حتّـى تفاعلـت معهـا وحرّكـت رأسـها، وحاولـت فـتح عينيهـا رويـدًا رويدًا.

_ مَن أنتِ؟

وأينَ أنا؟

قالتها زُمردة بذُعرٍ.

نظـــرت إليهـــا أُمّ هاشـــم بتعجـــبٍ وقالـــت: مالك يا شابّة؟

نهضـــت زُمـــردة بســـرعةٍ وأخـــذت تصـــرخ وهـــي مُلتحفـــة، ســـمعَ حســـن صـــوتها فأســـرعَ إليهـــا، مـــا أنْ رأتـــهُ حتّـــى بكـــتْ وقالت: مَن هذهِ يا بشريّ؟

حســـن مُحـــاولًا طمأنتهـــا: دي أُمّ هاشـــم أُمّـــي يا زُمردة.

زُمـــردة بعـــدما كفكفـــت دمعهـــا: أهـــذهِ هـــي أُمّكَ حسن؟

حسن بصوتٍ هادئ: أيوا.

أُمّ هاشم: بتقولك إيه يا ابني؟

حسن مُبتسمًا: سألتني عنك ياما.

أُمّ هاشم وقد اقتربت منها: سألت عنك العافية يا حبة عيني، أخذت تُقبّلها واحتضنتها، ثُمَّ أمرت حسن بالخروج كي يتسنّى لها ارتداء دثارها.

وبعدَ دقائق خرجت أُمّ هاشم ومعها زُمردة، جلست الأخيرة على الأريكة بجانبِ حسن، بينما أُمّ هاشم تُعدّ لهما العَشاء.

_ بيتكَ دافئ يا بشريّ.

قالتها زُمردة بعدما جالت ببصرها المكان.

حسن مُبتسمًا: تعيشي يا ست زُمردة.

ضحكت زُمردة حتّى بدت نواجذها.

حســـن: أنـــتِ إزاي مـــا افتكـــرتيش أُمّـــي مـــع إنّك عيشتِ هنا شهر؟!

زُمـــردة بصـــوتٍ هـــادئ: قـــد مُحيـــت ذاكرتـــي الخاصّـــة بحيـــاتي الســـابقة يـــا بشـــريّ عـــدا شيءٍ واحد.

حسن مُتلهفًا: وإيه هو؟

زُمردة على استحياءٍ: طريقة الإنجاب!

حسن: طيب.

زُمـــردة مُبتســـمة: يـــا بشـــريّ، أنـــا الآن إنسيّة حديثةُ عهدٍ بحياتكم.

سألها حسن: ليه عملتي في نفسك كدا؟

زُمردة بصوتٍ رخيم: بحبّك.

حســـن وقـــد اتســـعتْ حـــدقتاهُ مـــن الدهشـــة: قُلتِ إيه؟

زُمردة بصوتٍ حيي: بحبّك.

حسن بذهول: أنا مش مصدق نفسي، هو أنا في حلم ولا عِلم؟

زُمردة وقد لامست خُصلاتهِ الفضيّة بيدها الحانية: بل صدّق يا بشريّ، قد اختارني الحُبّ فأُغرمتُ بكَ.

حسن مُبتسمًا: أنتِ نقيّة جدًّا يا زُمردة.

زُمردة مُبتسمة: متى سنُنجب برديس الصغيرة؟

تفاجأ حسن من سؤالها، فتابعت هي: أرى أنَّ يوم الجمعة هو الأنسب، ما رأيُك؟

حسن مُتسائلًا: رأيي في إيه؟

زُمردة: فيما قُلته.

حسن: للأسف مش هينفع.

زُمـــــردة مُتســـــائلة: ألســـــتَ مُســـــتعدًا يـــــا مُنقذي؟

حســـن: لأ أنـــا جـــاهز بـــس فـــي خطـــوات لازم نعملها قبل الخلفة.

زُمـــردة مُبتســـمة: أعلمُهـــا جيّـــدًا، لـــذا فضّـــلتُ أنْ يكونَ التلقيح يوم الجمعة.

حســـــن بدهشـــــة: تلقـــــيح.. تلقـــــيح إيـــــه لا مؤاخذة؟

زُمردة بضحكةٍ رقيقة: تلقيح الأُمنيّة.

حسن: أُمنيّة إيه؟!

زُمـــــردة: أُمنيّتنـــــا الخاصّـــــة ببـــــرديس الصغيرة.

حســن: لحظــة واحــدة بــس كــدا.. هــو أنتــوا بتخلّفوا إزاي؟

زُمــردة وقــد بــدا عليهــا الخجــل: نَحــنُ نُنجــب عن طريقِ الأُمنيّات!

حسن: إيه؟؟!!

زُمردة: ما سمعت.

حســن: يعنــي مُفــيش حمــل ولا رضــاعة ولا الكلام دا.

زُمــردة وقــد عضــت شــفتها: أخجلتنــي يــا بشريّ.

حسن: دا أنتِ نقيّة حرفيًا بجد.

زُمردة: لا أفهم، ماذا تقصد يا مُنقذي؟

حســن: العشــا جهــز أهــو، يــلا بينــا نتعشــى والصباح رباح.

ابتســـمت لـــهُ زُمـــردة وجلســـت إلـــى جـــوارهِ على المائدة.

الجزء التاسع

تناولوا العَشاء ثُمَّ خلدوا إلى النوم.

وفي صباح اليوم التالي.

_ زُمردة اصحي يا بنتي.

قالتهـــا أُمّ هاشـــم وهـــي تُـــزيح الســـتار عـــن النافذة.

زُمـــردة وهـــي تُقـــاوم التثـــاؤب: حســـنًا أُمّـــي، قد استيقظت.

ارتـــدت جلبابًـــا أعطتـــهُ لهـــا أُمّ هاشـــم، ثُـــمَّ دلفـــت دورة الميـــاه لتســـتحمّ، بينمـــا حســـن قد ذهبَ إلى عمله.

خرجـــت زُمـــردة مـــن دورةِ الميـــاه وقـــد أُذِّنَ لصلاةِ العصر.

انتهى حسن من عملهِ فأسرعَ إلى البيت، أعطى أُمّهُ بعض الأسماك وهرعَ إلى المسجدِ قبلَ أنْ تُقام الصلاة.

صلّى فرضهُ وذهبَ إلى السوق؛ ليبتاعَ بعض الفاكهة والحَلوى خصيصًا لأجلِ زُمردة.

انتهت من تصفيفِ شعرها وأخذت تُحدّثُ نفسها: مرآتي، كم أنا إنسيّةٌ جميلة!

أرى أنَّ روحي هي سرّ جمالي لا ملامحي وحسب.

هل يا تُرى سيُحبّني حسن كما أحببتُهُ أم أنَّهُ يُحِبُّ فتاةً أُخرى؟

صعبةٌ جدًّا هي المشاعر الإنسانيّة، بل وشديدة التعقيد أيضًا!

قــد ســرت بــدمائي نــار الغيــرة، أُحِبُّــهُ بكُــلِّ ذرّةٍ فيَّ مرآتي.

لــم أَكُــن أتوقــع أنْ يــدلفَ قلبــي دفء الحُــبّ يومًــا مــا؛ رُّبمــا لأنَّ قلبــي كــانَ جليــديًّا، لكنَّــهُ انصهرَ على يدِ مُنقذي.

غريــبٌ أمــر هــذا الحُــبّ، يختــار هــو ولا يترك للقلوبِ الخِيَرة!

أثنــاء حــديثها أمــام المــرآة جاءهــا صــوت أُمّ هاشم، تُخبرها بأنَّ حسن قد أتى.

أســرعتْ إلــى الخــارج فــإذ بحســن قــد أتــى لها بالفاكهةِ والحَلوى.

_ اتفضلي يا ملكة.

قالهــا حســن وهــو يُقــدّم لهــا طبــق الفاكهــة الطازجة.

زُمـــردة ببســـمةٍ صـــافية: شُـــكرًا لـــكَ يـــا مُنقذي.

حسن مُبتسمًا: جبت لك دي كمان.

مُشيرًا إلى عُلبةِ الحَلوى.

نظـــرت إليهـــا زُمـــردة فضـــحكتْ ضـــحكاتها المرحـــة، ثُـــمَّ عقبـــت: أنـــا ســـعيدةٌ جـــدًّا يـــا بشـــــريّ، لا لأجـــــلِ الفاكهـــــة والحَلـــــوى وحسب، بل لأجلِ قُربي منكَ أيضًا.

نظرَ حسن إلى الأرض خجلًا ولم يُجبها.

_ الغدا جاهز، يلا يا ولاد.

قالتهـــا أُمّ هاشـــم وهـــي تضـــع الأطبـــاق علـــى المائدة.

زُمـــردة بهمـــسٍ: حســـن، لـــن أتنـــاول هـــذا الطعـــام، أخبـــر أُمّـــكَ بأنَّـــهُ لا يُمكننـــي تنـــاول الأسماء أو أيّ شيءٍ خارج من البحر.

حســن بهمــسٍ: حاضــر يــا ملكــة، علــى فكــرة مـــا كنـــتش أعـــرف إن اســـمي جميـــل آووووي كدا.

اســـتحت منـــهُ زُمـــردة فأســـرعتْ إلـــى غرفتهـــا ومعها طبق الفاكهة.

جلـــسَ حســـن ليتنـــاول الغـــداء مـــع أُمّ هاشـــم، وقـــد أحضـــرَ لهـــا نـــوع الحَلـــوى الـــذي تُفضّله.

أُمّ هاشـــــم وهـــــي تُعطيـــــهِ طبـــــق أرز الصياديّة: هي إيه الحكاية يا ابني؟

حســـن بعـــدما أخـــذَ الطبـــق ووضـــعهُ أمامـــه: حكاية إيه ياما؟

أُمّ هاشـــم: هـــي مالهـــا مـــش هتاكـــل معانـــا ولا إيه؟

حســـن: لا ياما مـــش هتاكـــل، علشـــان عنـــدها حساســـية مـــن الأســـماك وخيـــر البحـــر عمومًا.

أُمّ هاشـــم: يـــادي الكســـوف، وليـــه مـــا قولتش يا ابني كنت طبخت لها فراخ؟

حســـن بعـــدما قبّـــلَ يـــدها: ربّنـــا يخلّيـــكِ لينـــا ياما.

أُمّ هاشم: البت ميّالة ليك يا ابني.

حسن: إزاي ياما؟

أُمّ هاشم: إزاي إيه؟

بقولـــك البـــت ميّالـــة ليـــك، البـــت عاشـــقة والعشق مفضوح ما بيستخباش.

وأنت إيه وضعك؟

حسن: هاه!

أُمّ هاشم: قولت لي، أنت كمان ميّال لها يا حسن؟

حسن: حاسس كإنّي متغير ياما، حاسس كإنّي مش أنا.

أُمّ هاشم ببسمةٍ صافية ونبرةٍ مُطمئنة: تبقى وقعت يا واد.

حسن: وقعت فين؟

أُمّ هاشم: وقعت في الحُبّ يا حسن.

حسن: مش عارف ياما.

أُمّ هاشم: تبقى عاشقها يا ولدي، البت سكنت قلبك وطالعة من عنيك، أنا شايفاها أهي.

ابتسمَ حسن قبلَ أنْ يُضيف: آه منك يا أُمّ حسن!

أُمّ هاشم بعدما ضحكت: خلّص أكل وجهز نفسك عشان خارجين.

حسن: على فين؟

أُمّ هاشم: مشوار لحدّ الزنقة نجيب كام جلابية للغلبانة اللي جوّا، وكمان ملاية لف علشان تقدر تخرج براحتها.

حسن بهمسٍ: أُمّي هتلبس ملكة البحور ملاية لف!

أُمّ هاشم بعدما نهضت: بتقول إيه يا حسن؟

حسن: بقول حاضر ياما.

تناولت الفاكهة وجلست تُتابع المارّة من خلفِ زجاج النافذة.

طرقت أُمّ هاشم الباب ودلفت لتُخبرها بأمرِ التسوّق.

الجزء العاشر

_ شـــوفي يـــا بنتـــي، خُـــدي الملايـــة دي لفيهـــا علـــى جســـمك، والبســـي البُرقـــع دا علـــى وشـــك، علشـــان تنزلـــي معانـــا نتســـوّق م الزنقة ونجيب شوية حاجات.

زُمـــردة بعـــدما أخـــذت منهـــا المـــلاءة والبرقـــع: حســـنًا أُمّـــي، ولكـــنْ علّمينـــي كيـــفَ أرتدي هذا الزيّ من فضلك.

أُمّ هاشـــم بصـــوتٍ هـــادئ: حاضـــر يـــا بنتـــي، هاتي الملاية.

أخـــذت منهـــا المـــلاءة وقامـــت بلّفهـــا علـــى جســـدها الممشـــوق، ثُـــمَّ أخـــذتْ البرقـــع وألبســـتها إيَّـــاه، وخرجـــت بهـــا إلـــى الصـــالة حيثُ حسن يُشاهد مُسلسلهِ المُفضّل.

_ تعالي يا شابّة.

قالتها أُمّ هاشم مُشيرةً إلى زُمردة.

زُمـــردة بصـــوتٍ حيـــي: مـــا رأيُـــكَ بزيّـــي الجديد يا بشريّ؟

حســـن بعـــدما نهـــضَ مـــن مجلســـه: زادكِ جمالًا فوقَ جمالكِ يا ملكة.

أُمّ هاشـــم بصـــوتٍ ضـــحوك: هيّـــا بنـــا قبـــلَ أنْ نتأخر.

لحظـــاتٍ وكانـــت قـــد ارتـــدت ملاءتهـــا ووضـــعت برقعهـــا، ثُـــمَّ خرجـــوا جميعًـــا قاصدينَ سوق الزنقة.

أخـــذت زُمـــردة تُتـــابع تحرُّكـــات النّـــاس وطريقـــة التعامـــل فيمـــا بيـــنهم، تنظـــر إلـــى

هــذهِ وذاكَ وتلــك، هــي لا تعــي مــا يفعلونــهُ غيرَ أنَّها تبتسم رغم شعورها بالغُربة.

شــعورٌ مــا يــألف نفســها حــينَ تكــون بجانــبِ حســن، إنَّهــا الأُلفــة؛ إذ آنســت روحهــا بروحــه، وألِفــت نفســها نفســه، واطمــأنَّ لــهُ قلبها.

أحبّتــهُ فــي وقــتٍ لــم تَكُــن تُفكــر فــي الحُــبِّ فيــهِ، بــل كــانَ قلبهــا جليــديًّا، مُغلــقٌ عليهــا لا تسمح لأحدٍ بدخوله.

ســكنهُ حُــبّ حســن فانصــهرَ جليــده، وفُتحــت لــهُ أبوابــه علــى مصــراعيها، بــل إنَّهــا قــد أعطتهُ مِفتاحهُ!

_ ها قد وصلنا.

قالها حسن.

نزلــوا جميعًــا مــن الحافلــة وترجلــوا مســافة كيلــو متــر تقريبًــا حتّــى وصــلوا إلــى السوق.

تجولــوا بــينَ محلّاتــهِ المتنوعــة وأخيــرًا اســتقروا عنــدَ محــلّ العــمّ (عبيــد)، انتقــت أُمّ هاشــم بعــض الجلابيــب والعبــاءات، بالإضــافةِ إلــى ملاءتــينِ وبرقــع وبعــض أدوات الزينة.

ثُــمَّ ابتاعــتْ مــن عطــارة العــمّ (غبــريال) بعضًــا مــن الحنّــاء الأســوانيّة، ذات اللــون الأحمر المُميّز.

أنهــوا تســوّقهم وعــادوا إلــى البيــتِ فــي تمــامِ العاشرة.

تنـــاولوا العَشـــاء وحَفِظـــت أُمّ هاشـــم الأشـــياء بخزانـــةِ ملابســـها، ومـــن ثَـــمَّ خلـــدوا إلـــى النوم.

ريـــاحٌ شـــديدة تقتلـــع النخـــل مـــن جـــذوره، صـــوت أمـــواج البحـــر تـــدل علـــى مـــدى غضـــبه، الضـــباب يمـــلأ الأرجـــاء، تقـــف وحيـــدة علـــى مقربـــةٍ مـــن الشـــاطئ، لكنَّهـــا لا تســـتطيع الاقتـــراب منـــهُ بعـــدما تحوّلـــت لإنسيّة.

_ زُمردة.

نطقهـــا ملـــك البحـــور بصـــوتٍ جهـــوريٍّ غاضب تسببَ في فزعها.

اتســـعتْ عيناهـــا فـــي رُعـــبٍ حـــينَ شـــاهدتهُ يصـــعد مـــن أعمـــاقِ البحـــر مُمســـكًا بعصـــا الحُكم!

قهقــهَ ثُــمَّ تــابع: قــد قتلــتُ كبيــر الحُكمــاء واســتحوذتُ علــى عصــا الحُكــم، فعــادَ إلــيَّ حُكم المملكة من جديد.

أمَّــا أنــتِ فقــد خســرتِ كُــلّ شــيءٍ فــي ســبيلِ الحُــبّ، هــلّا أخبرتنــي بمــا فعلــهُ البشــريّ لأجلِ الحصول عليكِ؟

زُمــردة بغضــبٍ: اخــرس ولا تنطــق اســم مُنقذي على لسانكَ القذر.

لا تتحــدّث عــن الحُــبِّ وأنــتَ تحيــا علــى الكُره.

ملك البحور ساخرًا: مُنقذكِ!

حســنًا، ســنرى كيــفَ ســينقذ أبنــاء جِنســهِ من قبضتي.

زُمــردة بتــردد وقلــق: ملــك البحــور، لا شــأنَ لــكَ بالبشــر، دعهــم لحيــاتهم وحســب، هُــم كائنات لطيفة و....

ملــك البحــور مُقاطعًــا بغضــب: ليســوا كــذلكَ زُمــردة، هُــم أهــلًا لكُــلِّ خــرابٍ ودمــار، ثُــمَّ بكى.

لأوّلِ مرّةٍ يبكي ملك البحور وأمام مَن؟

زُمردة!

إذًا هُنــاكَ خطــبٌ مــا حــدثَ جعلــهُ يُعــادي البشــــر، ويُبــــيح قــــتلهم والاســــتفادة بأجسادهم.

لحظــاتٍ وعــادَ ملــك البحــور إلــى الأعمــاق، اقتربــت زُمــردة مــن البحــر لكنَّــهُ ولأوّلِ مــرّةٍ لــم يُرحــب بهــا، بــل تصــدت لهــا إحــدى أمواجهِ حتّى كادت أنْ تقتلها!

_ زُمـــردة، زُمـــردة، فـــوقي يـــا بنتـــي بقينـــا الضُهر.

قالتهـــا أُمّ هاشـــم وهـــي تربـــت علـــى كتفهـــا بحنانٍ في مُحاولةٍ منها لإفاقتها.

فتحـــــت زُمـــــردة عيناهـــــا ومـــــا أنْ رأت أُمّ هاشـــم حتّـــى تبســـمتْ لهـــا، ثُـــمَّ نهضـــت مـــن رقادها.

تناولـــت زُمـــردة إفطارهـــا الـــذي أعدّتـــهُ لهـــا أُمّ هاشـــم، ثُـــمَّ دلفـــت معهـــا غرفتهـــا؛ كـــي تُعطيها ما ابتاعتهُ لها البارحة.

_ اتفضلي يا بنتي.

قالتهـــا أُمّ هاشـــم وهـــي تفـــتح خزانـــة ملابسها.

دلفـــت زُمـــردة الغرفـــة وجلســـت علـــى الأريكة المُجاورة للسرير.

أُمّ هاشـــم: دي دســـتة جلاليـــب بيتـــي علشـــان تلبســـيهم هنـــا، ودي كـــام جلابيـــة وملايتـــين لـــف لـــزوم الخـــروج، أمَّـــا دا بقـــى فصـــندوق الزينـــة فيـــه كُـــلّ اللـــي تحتاجيـــه، ودي الحنّـــة علشان تنقشي بيها على إيديكِ ورجليكِ.

زُمـــردة ببســـمةٍ صـــافية: ســـلمتِ لـــي أُمّ هاشم وقبّلت جبينها.

أُمّ هاشـــم بصـــوتٍ حنـــون: أنـــا هنـــا مكـــان أُمّـــك، أيّ حاجـــة تحتاجيهـــا تقـــولي لـــي علـــى طول، أنا عدّاكِ بنتي اللي ما خلفتهاش.

زُمـــردة بنبـــرةٍ مُتـــأثرة: حســـنًا أُمّـــي وعانقتها.

_ حمـــو اقفـــل المحـــلّ وخللـــي المفـــاتيح معاك علشان تفتح الصبح.

حمـو بعـدما أتـى مـن الـداخل: أمـرك يـا معلـم حسن.

تركهُ حسن وذهبَ عائدًا إلى البيت.

الجزء الحادي عشر

دلـــفَ حســـن البيـــت، ألقـــى مفاتيحـــهُ علـــى الطاولـــة، ســـلّمَ علـــى أُمّـــهِ وجلـــسَ بجوارهـــا على الأريكة.

نـــادت أُمّ هاشـــم علـــى زُمـــردة لتُســـاعدها فـــي تجهيز مائدة الطعام.

خرجـــت زُمـــردة مـــن غُرفتهـــا مُرتديـــةً إحـــدى الجلابيـــب التـــي ابتاعتهـــا لهـــا أُمّ هاشـــم، مـــا أنْ رأهـــا حســـن حتّـــى نهـــضَ وأخـــذَ ينظـــر إليهـــا بدهشـــة؛ إذ صـــارت كمَـــن خُلِقـــت إنسيّة لا جنّية مُتحوّلة!

انبهـــرَ حســـن بـــالتغيُّرِ الـــذي أحدثتـــهُ لهـــا أُمّ هاشم.

_ أنت هتفضل مبحلق فيها كدا؟!

قالتها أُمّ هاشم.

حسن بخجلٍ: آسف، بس شكلها اتغير خالص يا أُمّ حسن.

أُمّ هاشم مُبتسمة: طب شد حيلك عشان عايزة أفرح بيكم.

حسن بدهشة: إيه؟

أُمّ هاشم: اللي سمعته يا حسن، جهز مهرك وشبكتك وتعالى اتقدم لها، وأنا هاشوف لو لاقيتك مناسب هجوزها لك أمَّا بقى....

حسن مُقاطعًا: أنتوا اتفقتوا عليا بقى.

أُمّ هاشم ضاحكة: بصراحة آه.

حسن مُبتسمًا: حاضر يامـا، شوفي طلباتها إيه وأنا سدّاد.

زُمـــردة بصـــوتٍ هـــادئ: أُريـــدُكَ ســـالمًا يـــا مُنقذي.

أُمّ هاشم: يلا يا بنتي نجهز السفرة.

زُمردة: حسنًا أُمّي.

دلفتا المطبخ بينما حسن ينتظرهما.

_ يـــا بنتـــي اتقلـــي عليـــه شـــوية، واشـــرطي واتشـــــرطي براحتـــــك دا أنـــــتِ العروســـــة ويحق لك.

قالتها أُمّ هاشم وهي تحمل الصينية.

زُمردة بصوتٍ هادئ: حسنًا أُمّي.

خـــرجَ مـــن المملكـــة مُتخفيًـــا حتّـــى وصـــلَ إلـــى الجُـــزرِ البعيـــدة، قابـــلَ الجنـــود واتفـــقَ معهـــم علـــى تنفيـــذِ مُخطّطـــهِ الخـــاصّ بـــإخراجِ ملـــك البحور من اللوحِ الثلجي.

فـــرحَ الجنـــود بقدومـــهِ؛ إذ هـــو المُخلـــص لملـــــك البحـــــور (شـــــعاب)، صـــــاحبهُ ومُستشارهُ الذي لا يثق بأحدٍ إلَّاهُ.

شـــرحَ للجنـــودِ الخُطّـــة، وأخبـــرهم بكيفيـــةِ وموعد تنفيذها ثُمَّ انصرف.

عـــادَ إلـــى المملكـــة، دلـــفَ مخدعـــهُ الخـــاصّ، وقـــفَ أمـــام المـــرآة يُحـــدِّث نفســـه: قـــد اقتـــربَ الموعـــد لفـــك أســـر مـــولاي ملـــك البحـــور، لـــن يفشلَ مُخططكَ أبدًا شعاب المُخلص.

وسيشـــهد البحـــر علـــى مـــا ســـيحدث بعـــدَ أسبوعٍ من الآن.

اتفقـــت أُمّ هاشـــم مـــع حســـن علـــى أنْ يكـــونَ زفافـــه علـــى زُمـــردة الأســـبوع القـــادم، وعليـــهِ أســـرعَ هـــو لتجديـــد الشـــقة وشـــراء أثـــاث جديـــد، بالإضـــافةِ إلـــى تصـــميم بعـــض

الـــــديكورات الملائمـــــة لطبيعـــــة العـــــروس الرومانسيّة.

أُمّ هاشم: تعالي يا زُمردة يا بنتي.

زُمردة بعدما أتت: ما الأمر أُمّي؟

أُمّ هاشـــم بعـــدما ربتـــت علـــى كتفهـــا بحنـــانٍ بالغ: عايزة أنصحك يا نن عين أُمّك.

زُمردة ببسمةٍ رائقة: كما تُريدينَ أُمّي.

أُمّ هاشـــم بصـــوتٍ حنـــون: شـــوفي يـــا بنتـــي يـــا حبيبتـــي أنـــتِ داخلـــة علـــى حيـــاة جديـــدة، حاجـــة غريبـــة عنـــك، فهتلاقـــي نفســـك خايفـــة شويتين، ودا طبيعي ما تقلقيش.

حســـن زي مـــا هـــو ابنـــي، أنـــتِ كمـــان بنتـــي، حسن بيحبّك يا زُمردة ورايدك.

ضـــحكت زُمـــردة ضـــحكة رقيقـــة وتابعـــت: أنـــا أيضًا أُحِبُّهُ أُمّي.

أُمّ هاشـــــم بعـــــدما ضـــــحكت: عارفـــــة يـــــا حبيبتـــي، المهـــم، خللـــي بالـــك مـــن جـــوزك، شـــوفي بيحـــب إيـــه واعملهولـــه وبيكـــره إيـــه واجتنبيه.

الراجـــل يـــا بنتـــي مـــا يفرحـــوش اد الكلمـــة الحلـــوة، مهمـــا لبســـتي واتـــذوقتي تفضـــل الكلمة الطيّبة هي الأقرب لقلب جوزك.

اهتمـــي يـــا بنتـــي بـــروح جـــوزك ونفســـه وقلبـــه، الراجـــل مـــش بيتجـــوز علشـــان مراتـــه تأكلـــه وتغســـل لـــه هدومـــه وترتـــب لـــه اوضـــته، مـــا هـــو كـــان بياكـــل وبيغســـل هدومه قبل الجواز.

زُمردة مُتسائلة: ماذا تقصدين أُمّي؟

أُمّ هاشـــم ببســـمةٍ صـــافية: قصـــدي يـــا بنتـــي تشـــبعي جـــوزك حنـــان، تغرقيـــه اهتمـــام، اتفننـــي فـــي اســـعاده، عمّـــري قلبـــه محبّـــة، داري خوفـــه بأمانـــك، خلليـــكِ ملجـــأ الأمـــان بالنســـبة لـــه، مســـتودع الحنـــان، صـــاحبيه يـــا بنتي وعرّفيه عليكِ وقرّبيه من روحك.

زُمردة بصوتٍ حيي: قد فهمتُ أُمّي.

أُمّ هاشـــم بعـــدما قبّلـــت جبينهـــا: ربّنـــا يسعدكم يا بنتي.

الجزء الثاني عشر

انقضى الأسبوع وحانَ الزفاف، ارتدت زُمردة ثوبًا أبيضًا وطرحة مُطرزة باللؤلؤ، وتزيّنت بالمجوهرات التي أهداها إيَّاها حسن، كما جمّلت يداها بنقوشِ الحنّاء الأسوانيّة.

دلفا الغُرفة بعدَ انتهاءِ الحفل، غُرفة رحبة، ألوانها دافئة، أثاثها رقيق، بساطها من السجاد العجمي.

قد وضعت لهما أُمّ هاشم الطعام الذي صنعتهُ خصيصًا لهذهِ المُناسبة السعيدة، ثُمَّ ذهبت لتُقيمَ معَ عزّة أُخت زوجها ببيتِ العائلة.

رفــعَ حســن الطرحــة عــن وجههــا ليظهــرَ حُسنها.

_ مُنقذي.

قالتها بدلال.

حسن بصوتٍ رخيم: قولي لي حسن.

زُمــردة بصــوتٍ شــجي: أســتحي منــكَ يــا بشريّ.

حسن مُبتسمًا: عجبك الفرح؟

زُمردة بصوتٍ فَرِح: أجل.

حســن بعــدما اقتــربَ منهــا: بحبّــك يــا زُمــردة قلبي من جوا.

زُمردة بحياءٍ: وأنا أُحِبُّكَ أيضًا مُنقذي.

حســن بصــوتٍ حــانٍ وقــد اقتــربَ منهــا أكثــر: أنتِ حلوة خالص وجميلة جدددًا.

زُمردة تبتسم ولا تردّ.

حسن: ممكن أبوسك؟

زُمردة بعدَ لحظة: ماذا تعني؟

حسن بدهشة: إيه؟!

هي أُمّي مش فهمتك حاجة عن الليلة دي؟

زُمردة بضحكٍ رقيق: بلى، قد شرحت لي عن الحياة الزوجيّة، ونصحتني كثيرًا، لكنَّها لم تذكر لي معنى أبوسك!

حسن: يا مثبت العقل ف الراس يا ربّ.

زُمردة بقلقٍ: مُنقذي ماذا هُناك؟

سكتَ حسن بضعة دقائق ثُمَّ أجابها: زُمردة، دلوقتي إحنا اتجوزنا، يعني بقيتي عروسة وبقيت أنا العريس، أنا

مـــش عـــارف الموضـــوع دا كـــان بيـــتم إزاي عنـــدكم، بـــس اللـــي أنـــا لاحظتـــه إنـــه مُختلـــف تمامًا عن عندنا.

زُمـــردة مُتســـائلة: عـــن أيّ موضـــوعٍ تتحـــدّث مُنقذي؟

حسن: ها.

زُمردة: مُنقذي ما بك؟

حســـن: قصـــدي يعنـــي علـــى موضـــوع الجواز.

زُمـــردة بصـــوتٍ هـــادئ: لا تُشـــغل بالـــكَ مُنقـــذي، فقـــد تزوجنـــا وبعـــدَ أســـبوعٍ نـــذهب لتلقيح الأُمنيّة لنُنجب برديس الصغيرة.

حسن بذهول: تلقيح الأُمنيّة!!

زُمردة بمرحٍ: أجل.

حســـن: زُمـــردة ينفـــع تتكلمـــي معايـــا زي مـــا بكلمك بلهجتي أنا يعني؟

زُمـــردة: أجـــل، مـــن المُمكـــن أنْ أتحـــدّث إليـــكَ بلسانك.

حسن بفرحٍ: بجد؟

طب يلا مستنية إيه.

زُمـــــردة: إنْ أردتُ التحـــــدّث بلســـــانكَ فمعنـــــاهُ أنّنـــــي ســـأقوم بنســـخِ كُـــلّ مـــا يخـــص بيئتـــكَ ومجتمعـــك، ومـــن ثَـــمَّ نقلـــهِ إلـــى دمـــاغي، مـــا أعنيـــهِ أنّنـــي سأنســـلخ مـــن هـــويّتي البحريّـــة، وسأكون بشريّة مثلك.

حســـن بســـعادة: يـــا ريـــت، بـــاللَّهِ عليـــكِ يـــلا بسرعة.

زُمـــردة وقـــد وضـــعت يـــدها علـــى جـــانبي رأســـه بينمـــا يـــدها الأُخـــرى علـــى مُقـــدّمتها: الآن سأقوم بالنسخ، هل أنتَ مُستعدّ؟

حسن: أيواااا.

قامـــتْ زُمـــردة بنقـــلِ لهجـــة وثقافـــة حســـن إلى دماغها عبرَ الإشارات العصبيّة.

وبعدَ دقائق.

زُمردة، زُمردة، أنتِ بخير؟

قالهـــا حســـن وهـــو يُحـــرّك رأســـها بعـــدما استلقت على السرير.

فتحـــت عيناهـــا علـــى مَهـــلٍ وقالـــت بصـــوتٍ رقيق: حسن روح قلبي.

اتســـعتْ عينـــاهُ ببريـــقِ الســـعادة حـــينَ داعـــبَ صوتها الحان أُذناه.

زُمـــردة بصـــوت أُنثـــوي فـــائق النعومـــة: ممكن تقومني يا روحي؟

مـــدَّ إليهـــا حســـن يـــدهُ ليُســـاعدها علـــى النهـــوض، لكنَّهـــا وبحركـــةٍ منهـــا أســـقطتهُ بجانبهـــا، وأخـــذت تضـــحك حتّـــى بـــدت نواجذها.

نهضـــت وتابعـــت: قـــوم علشـــان تاكـــل يـــا حبيبي.

حسن بصوتٍ رخيم: لأ، أنا زعلان منك.

زُمـــردة وقـــد اســـتدارت إليـــهِ: منّـــي أنـــا يـــا عمري؟

حسن: آه.

زُمردة بدلال: ليه يا حُبّي أنا؟

ولا أقــول لــك أنــا هصــالحك مــن غيــر حتّــى ما أعرف السبب.

اقتربــت منــهُ وهمســت لــهُ: بحبّــك يــا جــوزي أنـــا، وقبّلتـــهُ بـــينَ عينيـــه، ثُـــمَّ حاولـــت النهـــوض إلَّا أنَّ حســـن قـــد أمســـكَ بمعصمها.

زُمردة بدلالٍ: في إيه يا جوزي؟

حسن: رايحة فين؟

زُمردة بغنجٍ: هاغير الفستان يا حبيبي.

حســن بعــدما أفلــتَ يــدها: طــب بســرعة، مــا تتأخريش عليا.

خـــرجَ حســـن مـــن الغُرفـــة وتركهـــا تُبـــدل ملابسها على راحتها.

_ ها قد أتينا شعاب، أينَ اللوح الثلجي؟

قالها قائد الجنود.

شـــعاب بهمـــسٍ: آخـــر المُنعطـــف، ولكـــنْ خـــذوا حـــذركم فكبيـــر الحُكمـــاء قـــد شـــدّدَ الحراسة عليهِ.

قائد الجنود: حسنًا، سنفعل.

مضـــت ربـــع ســـاعة وكـــانَ ملـــك البحـــور خـــارج اللـــوح الثلجـــي، واتفـــقَ معهـــم علـــى سرقة عصا الحُكم من كبيرِ الحُكماء.

انقســـموا إلـــى فـــرقتين، إحـــداهما تقـــوم بإلهـــاءِ كبيـــر الحُكمـــاء، بينمـــا الأُخـــرى تســـرق عصـــا الحُكـــم وتُعطيهـــا لملـــك البحور.

وبفضـــلِ شـــعاب تمكنـــوا مـــن تنفيـــذِ الخُطّـــة كمـــا يجـــب أن تكـــون، وصـــارت عصـــا الحُكـــم بحوزةِ ملك البحور.

حـــاولَ كبيـــر الحُكمـــاء اســـترداد العصـــا، لكـــنَّ الكثـــرة تغلّبـــت علـــى شـــجاعتهِ فقتلـــهُ ملـــك البحور.

ارتـــجَّ القـــاع ارتجاجًـــا عنيفًـــا لـــم يشـــهدهُ البحـــر مـــن قبـــل، فتلاطمـــت الأمـــواج وكأنَّهـــا تشتغيث بابنتها البارّة زُمردة!

الجزء الثالث عشر

سمعت زُمردة صوت تلاطم الأمواج فانقبضَ قلبها، وجثتْ على رُكبتيها تبكي دونَ معرفة السبب.

طرقَ حسن الباب لكنَّها لم تُجبه، خشيَ أنْ تكونَ قد أُصيبت بأذى ففتحَ ودلف.

وجدها تبكي فأسرعَ إليها، سألها عن السبب لكنَّها لم تُجبه، وأشارت إلى النافذة، لم يفهم في بادئ الأمر حتّى قامتْ إليها ففتحتها، وأشارت إلى البحر.

سمعَ حسن صوت تلاطم الأمواج العنيف، فأسرعَ بإغلاق النافذة، وسألها بصوتٍ هادئ بعدما أجلسها على الأريكة: في إيه أنا مش فاهم حاجة؟

زُمــردة وقــد تســاقطَ دمعهــا: البحــر غضــبان وبينـاديني يا حسن.

حسن بدهشة: عرفتِ إزاي إنه بينـاديكِ؟

زُمــردة: الأمــواج رســالة مشــفرة بعتهــا لــي علشان ألحق المملكة.

حســن: أيــوا لكــنْ أنــتِ دلــوقتي إنســيّة مــش جنّية.

زُمـــردة والـــدمع يقطـــر مـــن عينيهـــا: ودا ســـبب بُكـــائي، للأســـف فقـــدت قـــوّتي الملكيّـــة، بقيـــت بشـــريّة ضـــعيفة لا حـــول لـــي ولا قوة.

حســن: اهــدي يــا حبيبتــي، أنــتِ مــالكيش ذنــب فــي اللــي بيحصــل هنــاك أيًّــا كــان هــو إيه.

زُمـــردة بغضـــب: بـــالعكس، الـــذنب كُلّـــه ذنبـــي أنا.

حســـن: أنـــتِ دبرتـــي لهـــم أمـــور الحُكـــم قبـــل مـــا تســـيبيهم، يبقـــى اللـــي بيحصـــل دا بعيـــد عنك.

زُمـــردة وقـــد نهضـــت مـــن مجلســـها: حســـن، مـــن فضـــلك عـــايزة أروح أشـــوف إيـــه اللـــي بيحصل؟

حسن بدهشة: تروحي فين يا عروسة؟

زُمردة: قاع البحر.

حسن وقد بدا عليهِ القلق: أيوا، بس....

زُمـــردة مُقاطعـــة: مـــن فضـــلك، دي آخـــر محاولـــة، عـــايزة أعـــرف إيـــه اللـــي حصـــل خلّا البحر غضبان بالشكل دا.

حسن: هتقدري تتحولي لجنّية تاني؟

زُمـــردة وقـــد بـــدا عليهـــا الحُـــزن: لأ، بـــس عندي محاولة كدا هجربها ويا ربّ تنفع.

حســـن باستســـلام: مـــا أقـــدرش أمنعـــك، بينـــا ع البحر يا زُمردة.

تبســـمتْ لـــهُ زُمـــردة وطبعـــت علـــى جبينـــهِ قُبلة حانية قبلَ أنْ تقوم بتبديل ملابسها.

وبعدَ دقائق، كانا يقفانِ على الشاطئ.

لـــم يتحمّـــل حســـن صـــوت الأمـــواج العنيـــف فعـــادَ للجلـــوس بالســـيّارة، بينمـــا زُمـــردة تتهيأ للقفز.

أخـــذتْ تنظـــر إلـــى البحـــر والـــدمع يتســـاقط مـــن عينيهـــا، ثُـــمَّ حدّثتـــهُ بصـــوتٍ دافـــئ،

وربتـــت علـــى صـــفحتهِ بيـــدٍ حانيـــة فهـــدأت الأمواج.

اشـــتمّت رائحـــة الغـــدر بمياهـــهِ فغضـــبت غضـــبًا عظيمًـــا، ثُـــمَّ ضـــربتْ صـــفحتهُ بيـــدٍ قويّة جعلتهُ يرتجّ ارتجاجًا هائلًا.

صـــرخت بكُـــلِّ قوتهـــا: بـــرديس، أنـــا بحاجـــةٍ إليكِ الآن.

لحظـــاتٍ وظهـــرت لهـــا صـــورة بـــرديس علـــى صفحة البحر.

_ هيّـــا يـــا ابنتـــي، لتُنقـــذي موطنـــكِ مـــن بطشِ ملك البحور.

قالتها برديس بصوتٍ حازم.

زُمردة بدهشة: ماذا؟

ملك البحور!

ألم أقم بحبسهِ باللوحِ الثلجي؟

بـــرديس: قـــد فعلـــتِ، لكـــنَّ شـــعاب الخـــائن قـــد اتفـــقَ مـــع الجنـــود الـــذينَ تـــمَّ نفـــيهم إلـــى الجُزرِ البعيدة وأخرجوه.

زُمردة مُتسائلة: وأينَ كبير الحُكماء؟

برديس: قتلهُ ملك البحور غدرًا يا ابنتي.

صـــرخت زُمـــردة صـــرخة جعلـــت ميـــاه البحـــر تتراجـــع عـــن الشـــاطئ؛ خوفًـــا مـــن غضـــبها العارم.

ثُـــمَّ وقفـــت علـــى البحـــرِ بقـــدميها وأخـــذت تهـــبط رويـــدًا رويـــدًا حتّـــى اختفـــت بداخلـــهِ تمامًا.

الجزء الرابع عشر

مــرّ أســبوع ولا زالــت زُمــردة بقــاعِ البحــر، لا يـــدرِ حســـن أهـــي عائشـــة أم قُتلـــت أم ماذا؟

لكنَّــهُ يــأتي يوميًّــا إلــى الشــاطئ يشــدو بعــض أشـــعارهِ؛ علّهـــا تســـمعهُ فتعـــود إليـــهِ مـــن جديد.

أنا الإنسي اللي قاعد لك

أفديكِ بروحي وبحبّك

يا ست الحُسن أنا ضِلّك

سندك، حبيبك، وف جنبك

أنا الإنسي اللي حبّيتك

وبقلب القلب خبّيتك

وف روحي بَنيتِ بيتك

أنا الإنسي اللي قاعد لك

بحبّك ومش قادر على بُعدك

يتيم أنا من بعدك

يا ست الحُسن وعسليّة

إنسيّة وجنّية

يا نهر ملان حِنّية

أنا الإنسي اللي مستني

يا بنت قلبي تتمنّي

أحقق لك مُنى عينك

سرّك يا قمري بيني وبينك

أنا الإنسي اللي قاعد لك

بحبّك واشتقت لك

وحشتيني يا نور عيني

وبحنانك روتيني

طمنتيني، دفتيني

أنا الإنسي اللي قاعد لك

صاحبك، حبيبك، وابنك

جوزك، سندك، وف ضِلّك.

أنهى حسن شدوهُ وعادَ إلى البيتِ بعدما غربت الشَّمس.

_ يا لكَ من وضيع!

قالتها زُمردة واندفعت بغضبٍ نحوَ ملك البحور.

شعرَ بالخوفِ منها فاختبأ خلفَ الجنود.

زُمـــردة بصـــوتٍ حاســـم: عليـــكَ بتســـليمِ نفســـكَ للعدالـــة وإلَّا أريتُـــكَ مـــن العـــذابِ مـــا لم تَكُن تَعْلَم عنهُ شيئًا.

ملـــك البحـــور بخـــوفٍ: لأجعلنّـــكِ حبيســـة اللوح الثلجي قبلَ أنْ تتحرّكِ من مكانك.

ضـــحكت زُمـــردة بسُـــخريةٍ وقالـــت: هيّـــا، أرني ما لديك.

وجّـــهَ ملـــك البحـــور عصـــا الحُكـــم نحوهـــا، وأمرهـــا أنْ تُعيـــدها للـــوح الثلجـــي، لكـــنَّ المُفاجأةَ الكُبرى أنَّ العصا لا تعمل!

حاولَ مرارًا وتكرارًا لكنَّها لا تعمل أيضًا.

ضـــحكت زُمـــردة علـــى ضـــعفهِ وتابعـــت: أوتدري مَن قتلت؟

ثُـــمَّ اقتربـــت منـــهُ ولـــم يســـتطع الجنـــود منعهـــا، فصـــرخت بوجهـــهِ: إنَّـــهُ كبيـــر الحُكماء.

كيفَ تجرؤ على خيانة وطنك؟

لـــم تُعطـــهِ فُرصـــة للإجابـــة؛ إذ لطمتـــهُ بيـــدها بقـــوة جعلتـــهُ يـــرتطم بإحـــدى الأعمـــدة، ومـــن ثَمَّ فقدَ بعض الدّماء.

اقتربـــت منـــهُ فشـــاهدت دمعـــة حبيســـة بعينـــهِ تتدحرج باستحياءٍ على خدّه.

اســـتدارت إلـــى الجنـــود، تقـــدّمَ قائـــدهم مُحاولًا قتلها لكنَّهُ لم يُفلح.

خـــدعها شـــعاب وتظـــاهرَ بالنـــدم، حتّـــى إذا اقتـــربَ منهـــا طعنهـــا بخنجـــرِ الملـــوك فانفجرت منها الدّماء.

صــرخت باســم حســن قبــلَ أنْ تســقطَ مغشــيًّا عليها.

تحوّلــت ذرّات دّمهــا إلــى ذبــذباتٍ ضــربتْ صــفحة البحــر فحوّلتــهُ للــونِ الأســود، بكاهــا البحر فتلاطمت الأمواج من جديد.

لكنَّها أمواج الحُزن هذهِ المرّة.

الجزء الخامس عشر

قــامَ ملــك البحــور إلــى شــعاب فقتلــهُ وأخــذَ منــهُ خنجــر الملــوك، بينمــا زُمــردة تحــت رعاية الحكيمة مرجانة.

خرجــت الحكيمــة مــن الغُرفــة الملكيّــة الخاصّــة بزُمــردة، فــرأت ملــك البحــور فــي انتظارها.

ســألها عــن الحالــة الصــحيّة لملكــة البحــور، فأخبرتهُ بأسى بمدى خطورة جرحها.

ملــك البحــور وقــد بــدا عليــهِ الحُــزن: لكنَّــكِ أمهر حكيمات البحر مرجانة.

مرجانــة: أجــل ســيّدي، لكــنْ كمــا تعلــم خنجــر الملــوك لــهُ وضــعٌ خــاصّ، وكــذا

لعــلاج مَــن طُعــنَ بــهِ وضــعٌ خــاصّ لا أقــدر عليهِ.

ملك البحور مُتسائلًا: ومَن يقدر إذًا؟

مرجانـــة وقــد تســاقطَ دمعهــا: لا أحــد ســوى الحكيمة أُمنيّات وهي الآن ميّتة.

ثُمَّ تركتهُ وذهبت.

حــاولَ ملــك البحــور أنْ يَجــد طريقــة لعــلاج زُمردة لكنَّهُ لم يُفلح ولم ييأس أيضًا.

نزفــت زُمــردة مقــدارًا مــاهولًا مــن الــدّماء، ممّــا أفقــدَ الحكيمــة مرجانــة الأمــل فــي إيجــاد علاجٍ لها.

اجتمــعَ ملــك البحــور مــع مجلــس الحُكمــاء، وطــرحَ علــيهم قــرارًا جديــدًا بقتــلِ كُــلّ جنــود

شـــعاب؛ كـــي يكونـــوا عِبـــرة لمَـــن تُســـوّل لـــهُ نفسه خيانة وطنه.

ثُـــمَّ أعطـــاهم عصـــا الحُكـــم مُتنـــازلًا عـــن العـــرش لأحـــدِ الحُكمـــاء، نادمًـــا علـــى مـــا فعلـــهُ بحقِّ كبير الحُكماء.

مـــا أنْ اهتـــدى ملـــك البحـــور للصـــوابِ حتّـــى توقـــفَ نـــزف زُمـــردة، لكنَّهـــا لا زالـــت بغيبوبتها!

البحـــرُ يبكـــي لأجلهـــا وكـــذا جميـــع ســـاكنيه، الكُلّ يتمنّى لها الشفاء العاجل.

اســـتأذنَ ملـــك البحـــور مـــن الحكيمـــة مرجانـــة ودلـــفَ غُرفـــة الرعايـــة، ليتحـــدّثَ إلـــى زُمردة على انفراد.

جلـــسَ بجانـــبِ ســـريرها علـــى مقعـــدٍ خـــاصّ، وأخذَ يتحدّث إليها رغم فُقدانها الوعي.

زُمـــردة، ابنتـــي التـــي لـــم أُنجبهـــا، حبيبـــة القلـــب والـــروح، أعلـــمُ أنَّـــكِ تريننـــي ظالمًـــا، قاســـيًا، مُتوحشًـــا فـــي بعـــضِ الأحيـــان، لكنَّنـــي ويشـــهد الإلـــه مـــا فعلـــتُ مـــا فعلتـــهُ بـــكِ إلَّا لحُبّي لكِ يا ابنتي.

قـــد خشـــيتُ عليـــكِ مـــن البشـــر حـــينَ علمـــتُ بـــأمرِ النبـــوءة، فصـــنعتُ لـــكِ لوحًـــا ثلجيًّـــا وحفظتكِ بهِ.

أخـــذَ يبكـــي حتّـــى ابتلّـــت وســـادتها، وتـــابع: حـــينَ فقـــدتُ زوجتـــي وابنتـــي بســـببِ بشـــريّ كرهـــتُ ســـائر البشـــر، وأصـــدرتُ قـــرارًا بإباحـــةِ قتـــل البشـــر والاســـتفادة مـــن أجسادهم.

ســـامحيني يـــا ابنتـــي، قـــد أخطـــأتُ بحقّـــكِ كثيرًا، وأخذَ يبكي.

_ زُمـــردة ابنتـــي الحبيبـــة، هيّـــا اســـتعيدي قوتكِ فحسن ينتظركِ، لا تتأخري عليهِ.

قالتها برديس بصوتٍ حنون.

فتحـــت زُمـــردة عيناهـــا علـــى مَهـــلٍ ومـــا أنْ رأت ملك البحور حتّى ابتسمت له.

صـــرخَ ملـــك البحـــور والـــدمع يقطـــر مـــن عينيه: عادت الملكة، عادت الملكة.

ربتـــت زُمـــردة علـــى يـــدهِ بحنـــانٍ وتابعـــت: قـــد سامحتُكَ أبي.

قبّـــلَ ملـــك البحـــور جبينهـــا وتـــابع: أنـــا جـــاهزٌ للمحاكمة الآن.

نهضـــت زُمـــردة مـــن رُقادهـــا بكُـــلِّ نشـــاطٍ ويكأنَّهـــا لـــم تَكُـــن تُصـــارع المـــوت مُنـــذُ سويعات!

_ قد عفونا عنكَ سيّدي ملك البحور.

قالتها زُمردة بفرح.

ملـــك البحـــور بصـــوتٍ حـــزين: هـــذا بحقّـــكِ ابنتـــي، لكـــنَّ حـــقّ كبيـــر الحُكمـــاء لا زالَ يُؤرقني.

زُمـــردة وقـــد ربتـــت علـــى كتفـــهِ بحنـــانٍ: قـــد عفا عنكَ أيضًا كبير الحُكماء.

ملك البحور بدهشة: ماذاااا؟

زُمـــردة بصـــوتٍ هـــادئ: حـــينَ أعطيـــتُ كبيـــر الحُكمـــاء عصـــا الحُكـــم، أخبرنـــي بـــأنَّ الجنـــود ســـيُحدثونَ بلبلـــة بالمملكـــة بعـــدَ مُغـــادرتي إيَّاهـــا، ووعـــدني بأنَّـــهُ سيتصـــدى لأيّ حـــدثٍ مـــن شـــأنهِ إحـــداث الهـــرج والمرج.

كـــذلكَ قـــد علّمنـــي كيـــفَ أكـــون إنســـيّة بعيـــدًا عـــــن البحـــــر، وجنّيـــــة ملكيّـــــة بداخلـــــه، وأعطنـــــي علامـــــة علـــــى صـــــلاحك وعودتـــــك لطريق الصواب.

ملك البحور: وما هي؟

زُمـــــردة: الدمعـــــة التـــــي ترقرقـــــت بعينـــــك وشـــــاهدتها تتـــــدحرج باســـــتحياءٍ علـــــى خـــــدّكَ سيّدي.

ملك البحور: لكنَّ كبير الحُكماء قد مات.

زُمردة: لم يَمت.

ملك البحور بدهشة: كَيف؟

زُمـــردة: قـــد شـــعرتُ بانقباضـــةٍ حـــينَ خرجـــتَ مـــن اللـــوح الثلجـــي، فأرســـلتُ نُســـخةً منّـــي إلـــــى كبيـــــر الحُكمـــــاء، أخبرتـــــهُ بفزعـــــي

فاحتـــاطَ لأيّ فعـــلٍ قـــد يحـــدث، وقـــامَ بتعطيـــلِ عصـــا الحُكـــم بعـــدما أمرهـــا بـــإخراجِ شـــبيهٍ لـــهُ منهـــا؛ وهـــذهِ الميـــزة تُســـتخدم فـــي حالـــةِ الضرورةِ القصوى.

ملـــك البحـــور وقـــد قبّـــلَ جبينهـــا: حقًّـــا تستحقينَ أنْ تكوني ملكة البحور.

زُمـــردة: بـــل أنـــتَ الآن هـــو أفضـــل مَـــن يحكـــم البحـــور ســـيّدي، ونـــادت علـــى كبيـــر الحُكمـــاء فحضرَ ومعهُ عصا الحُكم.

أخـــذتها منـــهُ زُمـــردة وأعطتهـــا لملـــك البحـــور، ثُـــمَّ ودّعـــتهم وأمـــرت إحـــدى الأمـــواج بحملهـــا إلـــى الســـطح؛ لتعـــودَ إلـــى حبيبها حسن.

مــرّت ثلاثــة أســابيع، وهــا هــو حســن لا زالَ يـــأتي إلـــى الشـــاطئ يشـــدو لهـــا بعـــض أشعارهِ ويذهب.

خرجـــت زُمـــردة مـــن المـــاء، مـــا أنْ رآهـــا حســـن حتّـــى لمعـــت عينـــاه ودمعـــت، اقتـــربَ منهـــا، مســـحَ بيـــدهِ علـــى شـــعرها ثُـــمَّ احتضنها.

_ أنتِ بخير؟

قالها حسن.

_ وحشتني آووووي يا حبيبي.

قالتها زُمردة بشوقٍ.

حســن:يلا بينـــا، خـــلاص شـــهر العســـل قـــرب يخلـــص قبـــل مـــا يبتـــدي وأُمّـــي قربـــت تيجـــي من عند عمّتي.

ضـــحكت زُمـــردة وتابعـــت: مـــش قبـــل مـــا أرد على شعرك.

حسن بدهشة: كُنتِ سامعاني؟

زُمـــردة: يـــا حبيبـــي أنـــا قلبـــي معـــاك مـــش بيفارقك لحظة.

أنا الجنّية اللي قاعدة لك

ساكنة قلبك وخيالك

دايمًا شاغلة بالك

أنا الجنّية اللي حبّيتها

ومن حُلو قلبك رويتها

فطبيعي تفرد جناحاتها

أنا الجنّية.. أنا مُناك

ندهت لي وأنت هناك

خرجت أنا م البحر

جيـــــــت بلا فخر

لاقيت الدُّنيا ظالماك

أنا سعدك.. أنا هَنَاك

أنا الجنّية اللي شايلاك

ف قلب القلب ومعاك

بروح الروح بتهواك

أنا الجنّية.. أنا هديّة

غرفت الحُبّ من قلبك

يا بخت الحُبّ بطُهرك

ويا بخته بصـــــدقك

حبيت لجل الحُبّ

سكنت جوا القلب

أنا الجنّية اللي قاعدة لك

رويتها بحُبّـــك وحنانك

أنا أجمل حلم ف أحلامك.

تبســـمَ لهـــا حســـن وأضـــاف: أنـــتِ فعـــلًا ســـعدي وهنـــاي، والخيـــر كُلّـــه ورد علـــى قـــدومك، تجـــارتي رجعـــت لـــي مـــن تـــاني، وديـــوني ســـددتها كلهـــا، وبقيـــت مـــش محتاج لحدّ، ربّنا يخليني ليكِ.

ضـــحكت زُمـــردة حتّـــى بـــدت نواجـــذها وتابعـــت: ويخلّيـــك ليـــا يـــا أجمـــل مـــا خلـــق رَبّـــي، ويـــلا بقـــى علشـــان شـــهر العســـل بتاعنا دا اللي لسه ما بدأش.

حملهـــا حســـن بـــينَ ذراعيهـــا وأســـرعَ إلـــى البيت.

تمّت بحمدِ اللَّه

مريم توركان